

أحاديث المجلس

بين الثقافة والشعبية

والمتقن يعتمد في أحاديثه ، ومناقشاته على أمور لا بد له من مراعاتها لأن في التطويح بها تطويحاً بمركزه وضياعا لهية ثقافته وداعياً إلى السخرية به والتغلب في النقاش عليه ، من هذه الأمور أنه يعتمد أن يراعى الصحة التامة فيما يورد فلا يخلط في حديث الاقتصاد بين ما يزرع وما يستخرج وبين ما يصنع به وما يصنع منه ، ولا يخلط في حديث السياسة بين روسيا السوفيتية وبين أمريكا الديمقراطية ، ولا يقول في حديث الشعر إن المتنبي قد أخذ من حافظ ، أو سار على نهج البارودي ، ولا يخلط في حديث الفن بين ميزات الموسيقى العاطفية وبين أنغام الأرغون ، أو بين رسوم الخيال ورسوم الطبيعة البادية .

كذلك يضمن به أن يتحرى الدقة فيما يقول فلا يجعل تعبيره يتجه اتجاهين إلا لغرض ، أو يحتمل احتمالين إلا الحكمة ولا يفسط في حديث جدى فإن ذلك إن استرعى من حوله الاهتمام والانباه ، وإن جعله يسر من تغلبه على المناقشين لعجزهم عن رد سفسطته ، فإن ذلك اعتراف واضح منه بعجزه عن مواصلة البحث ومجازاة العرض ودليل على قلة ثقافته وضآلة أفكاره وإغلاعه في هذه الناحية ، كما أن ذلك يدعو لسخرية الحاضرين منه وخفضه إلى هوة سحقة في عيونهم ، وإن لم يبد ذلك تصريحاً فهم يبدونه تليحاً بهز رؤوسهم أو رفع أكتافهم ، أو بإبداء صوت من أفواههم ، أو لفظة من وجوههم أو بتجاهلهم وعدم اكترائهم ، وفي ذلك كل المغزى وكل المعنى وكل التحلل للسفسطائي وذو بان لماء وجهه .

على أن السفسطة تحلو في بعض المواقف كلما حمى وطيس المناقشة ويحتمل أوارها فيحتاج المجلس لبعض الانتعاش ويحتاج الوطيس لإيقاف عند حد معقول ، فتأتي السفسطة انتعاشاً وإيقافاً وحداً معقولاً ، ولكن اللباقة تكون في البراعة في

الرجل المثقف إذا جالس زميله المثقف تدور بينهما أحاديث متبانية ، بدونها يركد هواء المجلس وتضيق أنفاس الجالسين ، وبدونها لا معنى للصدقة ولا جدوى من الزمالة . وهذه الأحاديث في جو المثقفين ليست من نوع واحد ولا حول موضوع مفرد . وإنما تدور على أمور شتى وحول أشياء مختلفة ، فالجالسان قد يكونان من محبي الأدب ، وقد يكونان من المعرّمين بالفنون الجميلة ، وقد يكونان من ذوي الميول السياسية أو من باحثي المنعرجات الاقتصادية ، إلى آخر هذه الميول وتلك الاتجاهات ، وعلى هذا يدور الحديث حول الشعر والأدب مع البعض ، وحول الفن مع آخرين ، وحول السياسة في مجلس ، وحول الاقتصاد في مجلس آخر ، وقد يدور حول كل هذه الأمور أو أبعاض منها في مجلس واحد ، والاسترسال والترابط والتداعي كل أولئك مما يساعد على الانتقال من هذا الموضوع إلى ذاك ، والمجلس المثالي هو ما تدور فيه الأحاديث من كل غرض ومن كل لون وفي كل اتجاه ، لأن ذلك يدل على ثقافة المتحدثين والمستمعين وذلاقة المجتمعين ، بيد أن مجالس المثقفين قد لا تدور أحاديثها حول هذا ولا حول ذاك إلا بعد أن تدور حول الأمور الشخصية التي لا تكون مجرد سرد عادي بل يدخل فيها عنصر التحليل والثقافة والتطبيق والملائمة وعرضها على مبادئ العقل وموازين الفكر ، ثم تكون اللباقة رويداً رويداً تنتقل من هذه الأمور الشخصية إلى مثل لها منذ زمن ثم إلى اقتران ذلك الحدث بموضوع من الموضوعات ، ومنه إلى شتى المواضيع والاتجاهات ، فإذا انتقلنا من جو هذه المجالس وذهبنا إلى مجالس أبناء الشعب وعامة الناس ، ألقينا الأمر يختلف اختلافاً وتبايناً ، فأدب الشعبي وفنونه الجميلة غير أدب المثقف وفنونه ، وسياسة هذا غير سياسة ذاك ، واقتصاد الأول يتباين عن اقتصاد الثاني . فالشعب له اقتصاد وفن من نوع خاص ، وله أدب وسياسة من قالب مخصوص